التفسير الموضوعي: نشأته، ألوانه وأهميته

(Thematic Tafsīr: Development, Types and Importance)

ہارون الرشید*

ABSTRACT

Thematic *tafsīr* is a more contemporary approach that focuses on compilation and in-depth discussion of *āyāt* of similar subjects scattered throughout the Qur'ān. In this approach an exegete *"mufassir"* selects a particular theme and then surveys the entire Qur'ān for understanding of how it deals with the theme of analysis. Foundations of thematic *tafsīr* are not new, but can be cognized from the classical sources of *tafsīr*, wherein scholars have collected and discussed topics/subjects of the same nature from the Qur'ān under the title of Qur'ānic Sciences "*'ulūm al-Qur'ān*". The science of abrogation "'Ilm al-Naskh", identification of Makki and Madani *āyāt* and compilation of *āyāt al aḥkām* can be quoted as examples in this regard. The contemporary approach to thematic *tafsīr* (only a century and a little bit more old) differs from the classical approach in a number of ways. Three prevalent approaches of the contemporary thematic *tafsīr* are: (a) Study of a particular theme throughout the Qur'ān, (b) Study of a particular phrase/word throughout the Quran and (c): Study of a particular theme/phrase/word within a specific *sūrah*. Out of these three, (a) is very popular, as it provides a great opportunity for comprehending the verity of Qur'ānic concepts on different issues of the time.

التفسير الموضوعي اصطلاح مستحدث شاع على ألسنة العلماء والدارسين وصار عنوانا للون جديد من ألوان التفسير، وهو مركب وصفي يحتاج لبيان جزأيه قبل تعريفه.

تعريف الجزئين: وهو مكون من كلمتين: الكلمة الأولى التفسير وهو لغة: من الفسر بمعنى الكشف والبيان ، قال الراغب: " هو إظهار المعنى المعقول ". [1] واصطلاحا: " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ". [2]

الكلمة الثانية: الموضوعي مأخوذ من الوضع وهو جعل الشيء في مكان ما ، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان ، تقول العرب: ناقة واضعة إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح.[3] وهذا المعنى

*اسسٹنٹ پروفیسر، شعبۂ تفسیر و مطالعات قرآن، اصول الدین فیکلٹی، بین الاقوامی اسلامی یونیورسٹی، اسلام آباد

ملحوظ في التفسير الموضوعي ؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده. وفي اصطلاح المفسرين: القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة.

أما تعريف التفسير الموضوعي كمركب وصفي فهو: علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها بربط جامع. [4]

فالتفسير الموضوعي هو الذي تجمع فيه قضايا القرآن الكريم وتفسر تفسيرا علميا على أساس الموضوع وتدون في بحث مفرد أو كتاب جامع على نمط مبسوطات التفسير التحليلي بحيث يرجع الباحث إلى الموضوع الذي يريده ويعلم موقف القرآن منه في يسر وسهولة.

نشأة التفسير الموضوعي:

لم يظهر هذا المصطلح على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري ، عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكليات الجامعات إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده، [5] ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية:

1- تفسير القرآن بالقرآن: لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته . وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي صلي الله عليه وسلم يربي أصحابه عليها ، فقد روى الإمام البخاري أن رسول الله صلي الله عليه وسلم فسر مفاتح الغيب في قوله تعالي : ''وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو''[6] فقال : مفاتح الغيب خمس : ''إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير''[7] . فكأن هذه بذرة أولى في الحقل الطاهر لهذا النوع من التفسير. [8]

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الجمع بين الآيات القرآنية التي يظن بينها تعارض . وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر القرآن الكريم ، إذ ما

أجمل في مكان قد فصل في آخر ، وما أطلق في آية إلا وقد قيد في أخري ، وما ورد عاما في سورة جاء ما يخصصه في سورة أخرى ، وهذا اللون من التفسير هو أعلي مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله . [9]

2- آيات الأحكام: قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة ، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها ، والجمع بين ما يظهر التعارض ، وذكروا ما نص عليه وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية ونحو ذلك ، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي . يقول الدكتور مصطفى مسلم: " وقد جمع الفقهاء هذه الآيات ذات الصلة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية ، فجمعوا ما يتعلق بالوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة واستنبطوا منها الأحكام الخاصة بها ، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوعها والقراءة فيها تحت كتاب الصلاة ، وما يتعلق بالصدقات وجوبا ومصارف وأنواع المال التي تخرج الصدقة منها تحت كتاب الزكاة ، وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والفرائض والسير وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولي ". [10]

3- الأشباه والنظائر : وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك كلمة: "خير" وردت في القرآن الكريم على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدامغاني في كتابه: إصلاح الوجوه والنظائر [11] ، وهي : المال كقوله تعالى : ''كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية'' [12] ، والإيمان كقوله تعالى : ''ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم''[13]، والإسلام كقوله تعالى : ''مناع للخير'' [14] ، وبمعنى أفضل كقوله تعالى : ''وأنت خير الراحمين'' [15] ، والعافية كقوله تعالى : ''وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو علي كل شيء قدير'' [16]، والأجر كقوله تعالى: ''والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير'' [17]، والطعام كقوله تعالى :''فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير'' [18] ، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله تعالى : ''ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا''[19] . وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي ، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

4- الدراسات في علوم القرآن : اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها ، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات لون ينصب على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة كالإمام أبي عبيدة معمر بن المثني المتوفي سنة 209 هـ الذي ألف كتابا في مجاز القرآن وكالإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى سنة 224 هـ حيث ألف كتابا جمع فيه الآيات المتعلقة بالناسخ والمنسوخ ، وكالإمام ابن قتيبة المتوفى سنة 276 هـ ألف كتابا سماه : تأويل مشكل القرآن ، وألف في غريب القرآن أبو بكر السجستاني المتوفى سنة 320 هـ والراغب الأصفهاني المتوفى سنة 502 هـ

وكتابه المفردات معروف في أوساط العلماء والدارسين ، وألف في إعجاز القرآن الرماني المتوفى سنة 386 هـ والخطابي المتوفى سنة 388 هـ والباقلاني المتوفى سنة 403 هـ والجرجاني المتوفى سنة 471 هـ ونجد أيضا الإمام الماوردي المتوفى سنة 450 هـ ألف كتابا في أمثال القرآن ، والإمام ابن قيم الجوزية المتوفى سنة 751 هـ أفرد كتابا في أقسام القرآن وسماه : التبيان في أقسام القرآن ، والبقاعي المتوفى سنة 885 هـ ألف في تناسب الآيات والسور وهو آية في بابه وغير ذلك من المؤلفات في نفس اللون. [20]

كل هذه الأمور والحقائق تدلنا على أن التفسير الموضوعي ليس بدعا من العلوم أفرزته عقول المتأخرين ، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين . لكن بروزه لونا من التفسير له كيانه وطريقته لم يوجد إلا في العصور الأخيرة – تلبية لحاجات أهلها – التي وجد فيها من المذاهب والأفكار كما وجد فيها من الآراء والموضوعات ما اضطر علماء الشريعة إلي بحثها من وجهة النظر القرآنية ليقينهم بأنه الكتاب الذي يحوي دراسة وعلاج كل موضوع يطرأ في حياة الناس ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، ''ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير'' [21] . ومن ثم كثرت الدراسات القرآنية ، وأصبحت المكتبة القرآنية تستقبل كل يوم موادا جديدة من عالم المطبوعات ، ولشدة عناية الكاتبين بهذا الفن من التفسير قام جمع من الباحثين بخدمة هذا اللون من التفسير بوضع فهرسة للقرآن علي حسب الموضوعات منها ما هو في عداد المخطوطات ومنها ما طبع ككتاب المستشرق الفرنسي " جون لابوم " الذي عنوانه : " تفصيل آيات القرآن الكريم " ، وضع لكتابه ثمانية عشر بابا ثم حاول توزيع آيات القرآن الكريم علي هذه الأبواب وجعل تحت كل باب فروعا وقد بلغت عدة هذه الفروع حوالي 350 فرعا وجمع تحت كل فرع الآيات التي تتعلق به. وقد ترجمه إلي العربية محمد فؤاد عبد الباقي وترجم المستدرك الذي وضعه " إدوار مونتيه " وخرجا في كتاب واحد وهو خطوة أولي في طريق طويل لا بد وأن تجد مستدركا ومعقبا كعادة ما يكتب أولا. [22]

ألوان التفسير الموضوعي :

من خلال الاستعراض التاريخي لنشوء هذا العلم والمؤلفات فيه نستطيع أن نلحظ ثلاثة أنواع من ألوان التفسير الموضوعي:

اللون الأول:

أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن ، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية ، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها . وقد أصبح كثير من الكلمات القرآنية مصطلحات قرآنية ك (الأمة ، والخلافة ، والصدقة ، والربا)، وهذا اللون كما تري قد اهتمت به كتب الأشباه والنظائر إلا أنها بقيت في دائرة الكلمة في موضوعها ، ولكن يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور ، مما أبقي تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية .

أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن ، وأظهروا بذلك لونا من البلاغة والإعجاز القرآني ، وقد كان من نتائجها استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة ، لم يكن بمقدورهم العثور عليها لو لا انتاجهم هذا السبيل ، وممن اعتني بهذا اللون من المعاصرين الدكتور أحمد حسن فرحات في سلسلة سماها : " بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي " ، أصدر منها كتاب :" الذين في قلوبهم مرض " ، و " فطرة الله التي فطر الناس عليها " ، و " الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية " وغيرها. [23]

اللون الثاني : تحديد موضوع ما :

يلحظ الباحث تعرض القرآن المجيد له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق ، أو تطرأ مشكلة أو تطرح قضية فيراد بحثها من وجهة نظر قرآنية وهنا نشير إلي عجيبة من عجائب القرآن الكريم المعجزة تدلنا علي أن القرآن دستور حياة ومنهج عمل ، فيه الشمول والعموم والكمال والبيان ، خلاصتها أنه ليس بمستغرب أن يجد باحث اهتمام القرآن صريحا بموضوع معين فيري جوانب معالجة الموضوع ودراسته في القرآن كافية وافية ، ولكن الغريب حقا أن تقترح موضوعا فتلج إلي عالم القرآن كأنما أنزل فيه فيدهشك أن الموضوع قد استوفيت جوانب دراسته في القرآن كأنما أنزل القرآن من أجله.

وطريقة الكتابة في هذا اللون تتم باستخراج الآيات التي تناولت الموضوع ، وبعد جمعها والإحاطة بها تفسيرا وتأملا يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال ما بين يديه من آيات ، ثم ينسق بين تلك العناصر بحيث يقسمها إلي أبواب وفصول حسب حاجة الموضوع ويقدم لذلك بمقدمة حول أسلوب القرآن في عرض أفكار الموضوع ، ويكون منطلق العرض والاستدلال والدراسة هو آيات القرآن الكريم لا غير مع ربط كل ذلك بواقع الناس ومشكلاتهم ، وإن ذكر شيء من غير القرآن في الموضوع فيذكر من باب الاعتضاد لا الاعتماد.

وعلي الباحث أن يتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات ، فلا يذكر القراءات ، ووجوه الإعراب ونحو ذلك إلا بمقدار ما يخدم الموضوع ويتصل به اتصالا أساسيا مباشرا. والباحث في كل ذلك يهتم بأسلوب العرض لتوضيح مرامي القرآن وأهدافه ومقاصده ليتمكن القارئ من فهم الموضوع وإدراك أسراره من خلال القرآن بجاذبية العرض الشائق وجودة السبك والحبك ورصانة الأسلوب ودقة التعبيرات ، وبيان الإشارات بأوضح العبارات . وهذا اللون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص ، وحتي أن اسم " التفسير الموضوعي " لا يكاد ينصرف إلا إليه ، والمتتبع لهذا يجده جليا ، وسبب ذلك يتلخص في أمرين :

1- غزارة الموضوعات التي طرقها القرآن وأشبعها دراسة وبحثا .

2- تجدد الموضوعات والمشكلات التي تحتاج إلي بحث من وجهة نظر قرآنية ، فالموضوعات تصدر من القرآن والمشكلات تعرضه عليه ، وكلاهما بحر ولا ساحل له ، لا تكاد تنتهي موضوعاته أو تقف عند حد. [24]

اللون الثالث :

البحث عن موضوع من خلال سورة من القرآن بتحديد الهدف الأساسي للسورة أو غيره من الأهداف ودراسته من خلال تلك السورة . وهذا اللون شبيه بسابقه إلا أن دائرته أضيق . وطريقة البحث فيه : أن يحدد الباحث الهدف أو الأهداف الأساسية للسورة ثم يختاره أو يختار إحداها إن كانت ثمة أهداف متعددة ثم يحاول إبراز عناصر بحث هذه السورة للموضوع وتقسيمها وتبويبها ، ثم يدرس علاقة كل المقاطع بهذا الهدف بدءا بمقدمة السورة وانتهاءا بخاتمتها ، مع التعرف علي أسباب نزولها ، ومكان نزولها ، وترتيبها من بين سور القرآن ويبين علاقة كل ذلك بهدف السورة عنوان البحث ، وسيجد الباحث الصلة بينه وبين الرابطة جلية عند إحالة النظر وإمعان الفكر ، وسيعلم أن للسورة هدفا واضحا ترمي إلي إيضاحه وبيانه والاستدلال له وبه ، وتفصيل جوانبه وأبعاده ، وكل سورة من القرآن لها شخصية مستقلة تعلم عند البحث فيها ، بل ويمكن أن يكون للسورة أهداف متعددة بينها من الترابط والتعاضد والتداخل شيء يصعب معه التفريق بينها أو إفراد إحداها بالبحث مع إغفال البواقي .

وليعلم أنه ينبغي عند البحث في هذا اللون ألا ينطلق الباحث في دراسة موضوع السورة من آيات لم ترد فيها ، بل يكون منطلقه آيات ومباحث ومقاطع السورة ، وأما غيرها فتذكر استئناسا لا تأسيسا ، وتوكيدا لا تأصيلا ، واستشهادا لا استنادا .

وهذا اللون ظفر بعناية القدماء بل جاءت في ثنايا تفاسيرهم الإشارات إلي بعض أهداف السورة ومحاولة الانطلاق منها لبيان تفسيرها ، كالذي فعله البقاعي في كتابه " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " ، وعبد الحميد الفراهي في كتابه " نظام القرآن ". وأما في العصر الحديث فقد أولع به سيد قطب في تفسيره " الظلال " حيث يقدم لكل سورة ببيان أهدافها الرئيسية أو هدفها الوحيد ، وينطلق في باقي تفسير السورة من خلال هذا المحور الذي تتحدث السورة عنه . كما كتب غيره ممن جاء بعده مستفيدا من منهجه كما فعل إبراهيم زيد الكيلاني في كتابه " تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام " . وقد أفردت بحوث كثيرة في هذا اللون من التفسير الموضوعي ، منها سلسلة " من مواضيع سور القرآن " التي يكتبها الشيخ عبد الحميد طهماز وقد صدر منها " العواصم من الفتن في سورة الكهف " [25].

أهمية التفسير الموضوعي :

يمكن تلخيص أجدر جوانبها في الأمور التالية :

الأول : إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم:

فكلما جدت علي الساحة أفكار جديدة – من معطيات التقدم الفكري والحضاري – وجدها المفسر جلية في آيات لأن القرآن إذا كان قد أعجز الأقدمين بلفظه ونظمه وبلاغته ، فإن الآخرين لا بد لإعجازهم من وجه مستمر المدي ، استمرار التحدي ، وهذا يتمثل في معاني القرآن وموضوعاته من طريقين :

1- شمول القرآن لكل هذه الموضوعات المتكاثرة مع قلة حجمه ووجازة لفظه ، وهذا يخالف معهود الكتب ، وقدرات البشر كما قال الراغب الأصفهاني رحمه الله في مقدمة كتابه[26] : " وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعني الجم ، وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله تعالي : ''ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم،، [27]

2- كمال كل موضوع منه علي حدة ، حين نجمعه الآن ونؤلف منه كيانا واحدا مؤتلفا غير مختلف ، وهذا من أعظم وجوه الإعجاز . ذلك لأن القرآن قد تواتر نزوله نجوما متفرقة علي مدار ثلاثة وعشرين عاما تقريبا ، نزلت نجوم كل موضوع مفرقة علي مختلف الأماكن والظروف ، ووضعت في سورها متباعدة ، وبينها في النزول فواصل زمنية مختلفة

.... ومع هذا كله حين ننظر إلي كل نجم نجده في موقعه من ترتيب السورة متآلفا متناسقا مع سابقه ولاحقه . ثم حين نجمع نجوم الموضوع معا نجدها علي غاية التوافق والتناسق ، وكأن أقساطه جميعا قد نزلت في وقت واحد تعالج قضية ما في موعدها وظروفها ، ونجد قانونا واحدا ينظم النجوم جميعا ، وهذا ضرب بالغ الإعجاز ، لا يستطيعه بشر مهما أوتي من إحكام العقل وجودة العلم والفكر .[28]

الثاني : إن تجدد حاجات المجتمع وبروز أفكار جديدة علي الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلي التفسير الموضوعي للقرآن الكريم . وذلك أن الباحث عندما يجابه مشكلة في الحياة ، أو تقدم له نظرية مستحدثة في علم النفس ، أو علم الاجتماع ، أو في علوم الحضارة الإنسانية ، أو العلوم الفلكية ، أو العلوم الطبيعية أو نطرية في الاقتصاد ... فإنه لا يستطيع أن يجد لكل هذه النظريات المستجدة نصوصا من آيات الذكر الحكيم تناقش مثل هذه القضية المطروحة وتبين حكم الله تعالي فيها ، بل يلجأ الباحث عندئذ إلي معرفة الهدايات القرآنية في هذا الاتجاه ويجمع الأفكار الرئيسية في هذا المجال ، بحيث تتكون لديه ملكة لإدراك مقاصد القرآن الكريم في هذا الصدد ، وبمنظار القرآن ينظر إلي حل هذه المشكلة أو يقوم هذه النظرية .

ثم إن نصوص القرآن الكريم محددة والقضايا التي تتناولها بالتوضيح والبيان والتفصيل محددة أيضا . أما المشاكل الإنسانية وآفاق المعرفة فغير محددة ما دامت الحياة مستمرة علي هذه الكرة الأرضية ، ولايمكن أن نجابه هذه المشكلات بظواهر النصوص المحددة بل نجد المرونة والسعة في الخطوط الأساسية التي تعرض لها آيات التنزيل الحكيم . ومن خلال علل النصوص وهداياتها العامة ودلالاتها نستطيع أن نصل إلي أنوار كاشفة ترسم لنا الطريق وتحدد لنا المعالم لتقويم كل مستحدث جديد .

لذا لا يمكن أن نجابه مشاكل العصر ومعطيات الحضارة إلا بأسلوب الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم أو بأسلوب التفسير الموضوعي .[29]

الثالث : إثراء المعلومات حول موضوع معين :

إن تخصيص موضوع بالبحث والدراسة وجمع أطرافه والاطلاع علي أسباب النزول للآيات المتعلقة به ، وتحديد المرحلة التي نزلت الآيات الكريمة تعالج بعض جوانبه ، وتوجيه ما ظاهره التعارض ، كل ذلك يهيئ للموضوع جوا علميا لدراسة هذا الموضوع بعمق وشمولية تثري المعلومات حوله وتبلور قضاياه وتبرز معالمه .

ومثل هذا العمق ومثل هذا التوسع لإبراز معالم الموضوع لا يتيسر للباحث في أي نوع من أنواع التفسير سواء التحليلي ، أو الإجمالي ، أو المقارن ، بل التفسير الموضوعي هو الأسلوب الأمثل في بحث مثل هذه الأمور.

الرابع : التأكيد علي أهمية تفسير القرآن بالقرآن :

وهو أعلي وأجل أنواع التفسير ، إذ قد يوجد من لا يلجأ إلي القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه ، وبالتفسير الموضوعي ندرك أهمية هذا اللون من التفسير فتزداد عنايتنا به ، وتتعاضد جهودنا لبيانه ، فنُكفي بذلك الوقوف عند كثير من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته لورود ما يوضح المراد ويشفي العليل ويروي الغليل بالقرآن نفسه .[30]

الخامس : تأصيل الدراسات أو تصحيح مسارها :

لقد نالت بعض العلوم القرآنية حظا وافرا من جهود العلماء وصنفت فيها المصنفات الكثيرة مثل العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية ، والدراسات الفقهية لآيات الأحكام ، إلا أن علوما جديدة برزت تحتاج إلي تأصيل قواعدها علي ضوء القرآن الكريم مثل : " الإعجاز العلمي " ، فقد برز هذا العلم وكثرت الكتابات فيه إلا أنه يحتاج إلي ضبطه بقواعد علمية مستمدة من هدايات القرآن الكريم لتجنب الإفراط والتفريط في إدخال الآيات مجال البحث والمتعلقة بالعلوم التجريبية من علوم الفلك والطبيعة والإنسان .

وكذلك علم : " أصول التربية القرآنية " ، فبعد بروز المدارس الاجتماعية ومدارس علم النفس في الغرب ، وغزوها للأمم والشعوب ، ومحاولة إقامة صرح التعليم والتربية حسب مناهجها ، رأي المفكرون المسلمون أن من الضرورة بمكان استخلاص مبادئ هذا العلم من هدايات القرآن الكريم ولا زالت الكتابات في هذا الجانب قليلة جدا ، إذ تحتاج مثل هذه العلوم إلي علماء راسخين في علوم الشريعة ، إلي جانب استيعابهم لثقافة العصر ومناهج المدارس الحديثة في الغرب والشرق ، إلي جانب ملكة قوية في الإبداع والاستنباط ، ليقوم هذا العلم علي أسس راسخة .

ومثل هذا : " أصول علم الاقتصاد الإسلامي " و " أصول الإعلام الإسلامي " .

ثم إن كثيرا من العلوم تلعب دورا هاما في حياتنا المعاصرة ، ولا زالت معالم هذه العلوم غير واضحة الصلة بهدايات القرآن ، ولا يمكن أن نجد نصوصا محددة من القرآن الكريم أو السنة النبوية تناولتها ، وإنما نستشف أصولها من خلال روح النصوص الكريمة وهدايات القرآن الكريم والسوابق القضائية والفقهية لسلف هذه الأمة ولا وسيلة لوضع أسس هذه العلوم وبيان ضوابطها إلا من خلال التعامل مع الآيات الكريمة وفق منهج التفسير الموضوعي .[31]

كما أن هنالك دراسات إسلامية ضخمة قامت ولكن لم تكن مناهج الباحثين فيها وثيقة الصلة بالهدايات القرآنية.فعلم التاريخ البشري أخذ منهجا في سرد الوقائع والأحداث من غير تعرض لسنن الله في المجتمعات الإنسانية من حيث الرقي والتقدم أو الانحطاط والتخلف ، علما أن هدايات القرآن الكريم قد أبرزت هذه السنن بشكل دقيق عند عرض قصص الأمم السابقة مع أنبيائها .

فالمنهج الذي يغطي هذه المجالات ويؤصل هذه العلوم وغيرها ويضع الأسس والضوابط لها هو منهج التفسير الموضوعي للآيات القرآنية ، ومن هنا كانت أهمية هذا النوع من التفسير .[32]

الحواشي والتعليقات

[1]- الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن: 380/1 ، دار المعرفة بيروت.

[2]- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن: 13/1 ، دار إحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي وشركائه (الطبعة الأولي 1376).

[3]- الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط: 996/1

[4]- الذهبي ، الدكتور محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون: 3/4

[5]- مسلم ، الدكتور مصطفي مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي: 17 ، دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولي 1410 هـ - 1989

[6]- الأنعام: 59

[7]- لقمان: 34

[8]- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة البخاري ، الجامع الصحيح ،كتاب التفسير:158/14

[9]- ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير: 93

[10]- مسلم ، الدكتور مصطفي مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي: 19

[11]- الدامغاني ، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ، إصلاح الوجوه والنظائر: 167-169 ، دار العلم للملايين.

[12]- البقرة: 180

[13]- الأنفال: 23

[14]- القلم: 12

[15]- المؤمنون: 109

[16]- الأنعام: 17

[17]- الحج: 36

[18]- القصص: 24

[19]- الأحزاب: 25

[20]- الكومي ، الدكتور أحمد السيد الكومي ، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: 21 ، الطبعة الأولي 1402 هـ - 1982 م القاهرة.

[21]- الملك: 14

[22]- مسلم ، الدكتور مصطفي مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي: 21-22

[23]- المصدر السابق: 23-24

[24]- الكومي ، الدكتور أحمد السيد الكومي ، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: 13-14

[25]- مسلم ، الدكتور مصطفي مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي: 28-29

[26]- الأصفهاني ، ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، مقدمة المفردات في غريب القرآن: ص 5 .

[27]- لقمان: 27

[28]- سعيد ، عبد الستار فتح الله سعيد ، المدخل إلي التفسير الموضوعي: 40-41 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية – بور سعيد – الطبعة الثانية 1411 هـ - 1991 م

[29]- مسلم ، الدكتور مصطفي مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي: 30-31

[30]- الشرقاوي ، أحمد بن محمد الشرقاوي ، نحو منهج أمثل لتفسير القرآن: 30 ، ماليزيا 1427 هـ - 2006 م

[31]- الكومي ، الدكتور أحمد السيد الكومي ، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: 17-18

[32]- مسلم ، الدكتور مصطفي مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي: 32-33